بسم الله الرحمن الرحيم
ملخص الأصول الكلية للإيمان بالله

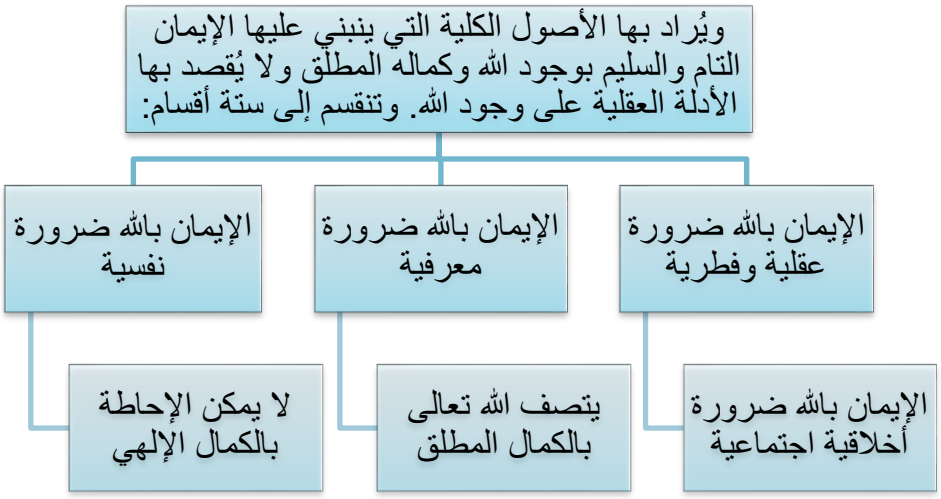

وهذه الأصول مهمة عند محاورة ناقدين الأديان لتفنيد شبهاتهم:

1)الإيمان بالله ضرورة عقلية وفطرية:

ونعني بذلك أن الإيمان بوجود الله قضية فطرية نابعة من غريزة أودعها الله في النفس البشرية لتستطيع من خلالها التمييز بين الحق والباطل وبين الأخلاق الحسنة والمذمومة وإدراك مبدأ السببية، وكون الجزء أصغر من الكل دون الحاجة لبرهان. وأن الإيمان بالله ليس مجرد مسألة عاطفية خالية من الأسس العقلية والمبادئ الفطرية، وهذا ما يدركه من كانت فطرته سليمة أما إذا تعرضت للفساد بفعل المؤثرات الخارجية فذلك يستلزم النظر والبحث في الأدلة التي تثبت وجود الله كي يستدعي فطرته. وتنقسم الأدلة التي اعتمد عليها المؤمنون في إثبات وجود الله عز وجل إلى قسمين: أدلة الخلق والإيجاد، وأدلة الإحكام والإتقان. فالأولى تعنى بخلق الكون من العدم، والثانية بإتقان هذا الكون وإحكام صنعه بعد إيجاده.

2)الإيمان بالله ضرورة معرفية:

تنقسم المعارف الإنسانية إلى علوم ضرورية ونظرية، ولا يمكن أن يُستغنى بالعلوم النظرية التي تعتمد على التجربة والخبرة بدون الرجوع إلى المبادئ الضرورية. ويجب التنويه إلى أنه لا يمكن أن تكون كل المعارف إما ضرورية أو نظرية؛ فالإنسان لا يكتسب المعرفة فقط من كونها فطرية وحاصلة في نفسه دون نظر واستدلال وكذلك لا يُمكن أن يُكتفى بالعلوم النظرية وإثبات المعارف عن طريق النظر والاستدلال فيجب أن تُثبت بواسطة غيرها،وإلا قد يفضي ذلك إلى أمرين:
- التسلسل:(فمثلاً يتم إثبات القضية النظرية بقضية نظرية أخرى دون الرجوع للعلوم الضرورية)
- الدور: (إثبات القضية النظرية بذاتها). وحينما نقول بأن الإيمان بالله ضرورة معرفية فيعني ذلك إلى أنه لا يمكن إثبات المعارف الضرورية المطلقة إلا مع وجود مطلق وهو الله عز وجل وهو الأساس الذي تقوم عليه المعارف الإنسانية، ومن ينكر وجوده فإنه تبعاً لذلك سينكر وجود المعاني

والقيم والمعارف المطلقة. ومن هذا من المنطلق يتبين لنا أن الإيمان بالله حاجة معرفية من خلالها يتم إثبات المعاني المطلقة.

3)الإيمان بالله ضرورة نفسية:

الإنسان بطبيعته لا يخلو من حس الإرادة والقصد والأشياء التي يريدها إما أن يكون يريدها لذاتها أو لغيرها، فالأولى تتمثل في الغاية والثانية تتمثل في الوسيلة المؤدية لتلك الغاية. فالإنسان مثلاً لا يمكن أن يريد وسيلة أي مراد لغيره فذلك سيؤدي إلى تسلسل في العلل الغائية ولن يصل إلى منتهى، ولكنه حينما يريد الشيء لذاته فهو يحقق غايته وينتهي إليها. وهذا ما نعنيه بقولنا أن الإيمان بالله ضرورة نفسيه لا يمكن أن تستقر نفس الإنسان مع غيابها فإذا انعدم المراد لذاته وهو الله عز وجل الإله والخالق العظيم الذي تألهه القلوب حينئذ تسيطر مشاعر القلق وعدم الاستقرار النفسي على الإنسان.

4) الإيمان بالله ضرورة أخلاقية اجتماعية:

الأخلاق مكون اجتماعي ضروري تقوم عليه تعاملات البشر الحياتية ولا يمكن ضبط سلوك الإنسان إلا مع وجود الله عز وجل الذي له الكمال المطلق، وعندما يتم إنكار وجوده فلا يمكن أن تستقيم المنظومة الأخلاقية المطلقة. وحينما تحويل الأخلاق إلى مسألة نسبية فذلك يفضي إلى ضياع الصواب والخطأ والمساواة بين الصالح والفاسد، مما يعرقل عملية الإصلاح ويؤدي بالإنسان إلى الحرية التامة في ارتكاب الأخطاء ونشر الفساد.

5) يتصف الله تعالى بالكمال المطلق:

ويعني ذلك أن المؤمن بوجود الله عز وجل الخالق والمدبر لهذا الكون يؤمن ويثبت بأن هذا الخالق ذو كمالٍ مطلق لا نقص فيه ولا عيب. فحياة الله كاملة وذلك يستلزم نفي الموت عنه، وعلمه كامل وذلك يستلزم نفي الجهل عنه، وقدرته كاملة ذلك يستلزم نفي العجز والضعف عنه، وغناه كامل وذلك يستلزم نفي حاجته لغيره. وهذا شأن كل صفات الكمال الخاصة به سبحانه. وهناك تلازم بين الإيمان بوجود الله وإثبات صفة الكمال المطلق له وإن آمن الإنسان بالله ولم يعتقد بأن الله كامل في صفاته كمالاً مطلقاً من كل الوجوه فإنه قد وقع في التناقض وفصل بين متلازمات ضرورية لا تنفك عن بعضها البعض.

وهنالك أصول تدل على ثبوت الكمال المطلق لله تعالى:

1-كمال الله سبحانه من ذاتي فيه سبحانه فهو مستغنٍ عن كل شيء وكل شيء مفتقر إليه، وما كان من ذاته فهو ملازم له غير منفك عنه وذاته قديمة الوجود إذن لا بد أن يكون كماله أيضاً قديم الوجود.

2-الله خالق الكون والخلق يستلزم الحياة الكامل، كمال العلم بهذا الكون وإتقان سننه التي تحكمه مع علم شامل لكل تفاصيله، وكمال الإرادة فيستحيل وجود الكون الذي وجد في وقت محدد وعلى هيئة محددة دون إرادة وقصد من وجوده، والإيجاد بعد العدم يستلزم القدرة المطلقة، وكل شيء في هذا الكون محكم ومتقن ومنظم وهذا يستلزم كمال الحكمة.

3-قال تعالى: (ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) فله الصفات العليا والكمال المطلق الذي لا عيب فيه

4-صفات الكمال الخاصة بالله عز وجل متحدة ببعضها ومترابطة لا تنفصل عن بعضها البعض، فالقدرة والعلم بلا حكمة مثلاً لا يتم بهما الإصلاح فسيفعل القادر ما يريد بدون ضابط وتأمل في النتائج التي قد تكون سلبية بحجة أنه يملك القدرة. والله مع قدرته وعلمه فهو حكيم سبحانه في إرادته بخلقه يدبر شؤونهم بحكمته التي تراعي مصالح الجميع. ولتقريب الصورة أكثر-ولله المثل الأعلى-، عندما يكون شخص ما عالماً ومتمكناً في مجال معين ويستخدم ما تعلمه بغير حكمة وتعقل بل يستغل علمه في إفساد من حوله فهو لا يطبق ما تعلمه بحكمة بل يغش الناس فقط كونه قادراً في صنعة معينة.

6)عجز المخلوق عن الإحاطة بالكمال الإلهي:

ومعنى ذلك أنه بالرغم من إثبات المؤمن صفات الكمال المطلق لربه فهو يقر بأنه عاجز عن الإحاطة بجميع ما ثبت له سبحانه من كمال وجلال. وهذه القضية ترجع لعدة أسباب عقلية وليست عاطفية ونابعة عن التسليم فقط، وهي: 1-الإنسان لا يعلم حقيقة ذات الله وكنهه، فمن الضروري والمتوقع أنه يجهل حقيقة صفات الله عز وجل. 2-الإنسان عاجز عن الإحاطة بالكون الذي لا زال مليئاً بالأسرار التي لم تكتشف بعد والذي هو فعل من أفعال الله، فكيف يستطيع الإحاطة بكمال الله؟ 3-الإنسان بطبيعته غير قادر على الإحاطة بكل المعارف الإنسانية فلكل شخص مجاله المؤهل له، ومن تستعصي عليه مسألة فهو يرجع إلى الخبير بها وهذا مما تألفه العقول والفطر وإلا إذا رفض الإنسان أن يركب السيارة إلا إذا علم كل تفاصيلها على الإطلاق وهذا كان حاله مع كل شيء في حياته فلن يستطيع العيش، وإذا كان هذا حال الإنسان في جهله بعلم إنسان مثله فهو من باب أولى أكثر عجزاً بإدراك تفاصيل كمال الله جل جلاله. ومن هذا المنطلق فإنه لا يصح في المنطق للإنسان أن يعترض على أفعال الله أو أن يجعل نفسه مضاداً ومعارضاً لله فهو عاجز عن الإحاطة بكماله وعلمه وحكمته أصلاً، وعليه أن يسلم إذا لم يفهم الحكمة وراء فعل من أفعال الله تعالى في الكون والخلق.

إمكانية الاستدلال العقلي على وجود الله: